نهر الكلب

(اصل اسمه)

بقلم المؤرخ لويس المخلص

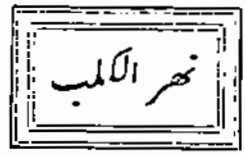

وهو المعروف قديماً باسم « ليكوس » ويبعد ١٢ كيلومتراً عن جسر بيروت جهة الشمال حيث يصب في البحر المتوسط واصله من الينابيع المتفجرة في اعالي صرود كسروان اي من نبع الابن ونبع العسل ونبع القنا ونبع عين التنور وغير جداول فتتجمع هذه المياه كلها في اسفل بيروبا ثم في وادي الصليب ومنها تتصل بمياه مغارة جعيتا ومنها الى البحر .

قبل ان نذكر اشتقاق اسمه الحقيقي نروي ما قيل عنه على سبيل التفكهة لدى بعض المؤلفين الاكثر شهرة .

جاء في كتاب « المرآة الوضية في الكرة الارضية » تأليف كرنيليوس فنديك الاميركاني المطبوع في بيروت سنة ١٨٥٢ ص ١٠١ : « اما نهر الكلب فمخرجه في جبل لبنان بقرب جعيتا من مغارة هناك وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصب في بحر الروم الى الجنوب من جونة كسروان وكان عليه جسر قديم بناه الملك انطيوخوس قيصر بالقرب من شاطئ البحر فهدم بتراكم الاشجار عليه قد اقتلعها السيل واقام الامير بشير جسراً غيره فوق المكان الذي كان فيه سنة ١٢٢٤ للهجرة وهو ثابت الى الان » وكرر هذا الكلام ص ١٦٧ وقد اضاف الى ما قاله سابقاً ان مياه نهر الكلب هي افضل مياه كسروان .

ثم جاء في الكتاب المسمى « الدليل الاخضر » بيروت والجمهورية اللبنانية لمؤلفه روحي الجميل وهو مطبوع في بيروت سنة ١٩٤٨ : وعلى بعد ١٢ كيلومتراً (من جسر بيروت) جسر نهر الكلب المبني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وبعد هذا الجسر الى اليسار قرية صغيرة على الضفة اليمنى من نهر الكلب الذي كان يسمى في العهود القديمة ليكوس . ثم يصف الآثار البالغ عددها ١٨ اثراً حتى يصل الى صفحة ١٢٠ حيث يقول: «وعلى قمة الجبل الى اليمين صخرة بيضاء

تشرف على البحر منحوتة بشكل قاعدة وتزعم الاسطورة ان هذه القاعدة كانت تحمل تمثال الذئب (ليكوس) الذي كان العرب يسمونه كلب وقد اطلقت اسمه على النهر واليك ما يرويه بهذا الصدد الشفاليه (دارفيو) في مذكراته الجزء الثاني ص ٣٧٨ طبعة ١٧٣٥ : كان في قديم الزمان وجه كلب ضخم قد حفره الوثنيون على صخرة في رأس متقدم في البحر كان يستخدم لاستكشاف الجيوش والتنبيه عنها بصرخات قوية جداً بحيث كانت تسمع من جزيرة قبرس . ويستدل من هذا على انه كان له صوت قوي جداً . ولكن الاتراك الذين يتنعهم دينهم من قبول اي وجه منحوت نزعوه والقوه في البحر حيث يشاهد الى الآن حينما يكون البحر هادئاً . ولكنه لم يعد يتيح ومن المؤسف ذلك . لاني كنت مستعداً لبذل كل شيء كي اشهد هذه المعجزة بنفسي. ولعلي لو شهدتها لصدقني الناس اعتاداً على قولي اكثر مما يصدقونني اعتاداً على الاسطورة التي انقلها هنا . «الدليل الاخضر ص ١٢٢»

وقال العلامة الاب هنري لامنس في مؤلفه «تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار المطبوع في بيروت سنة ١٩١٤ الجزء الاول ص٥» : ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوه الاقدمون ليكوس ومعناه الذئب وتسير مدة فتصل الى ضيعة موقعها شمالي النهر تدعى صربا وهي منتصبة فوق الصخور المشرفة على خور جونية وهو مرسى في البحر يعد من احسن خلجان سورية . وفي صفحة ٦ قال «بلينوس الطبيعي» : ان بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس (نهر ابرهيم) مكاناً يدعى بالبيلوس (Palaebyblos) وزاد عليه ايضاً استرابون الجغرافي قال : اذا سرت من بيبلوس (جبيل) جنوباً تلقى في طريقك اولاً نهر ادونيس ثم جبل كليمكس « ΞΞΞΞΞΞΞΞΞΞ » ثم بعدها بالبيلوس واخيراً نهر ليكوس . وفي ص ٨ « ان طريق جونيه يقطع نهراً طالما ورد ذكره في تاريخ سواحل فينيقية وهو نهر الكلب وليست خطورة هذا النهر بعمق غور مياهه او طول مسافة سيله لان اصله كما لا يخفى من مغارة في سفح جبل جعيتا تبعد عن البحر ستة اميال فقط وتختلط مياهه عند خروجه بالمياه المتحدرة من اعالي لبنان من نبعي اللبن والسلق فيجري من ثم مرغياً مزبداً حتى ينتهي الى البحر فيصب فيه . واما لنهر الكلب شأن في تاريخ

الفتوحات العظمى القديمة . وقد قدمنا ان اسمه باليونانية « Κύων » اي ذئب فعرب بنهر الكلب . ولكن انى له هذه التسمية وما سبب هذا اللقب ؟ نجيب ان الاقاصيص الشائعة بين العامة تروي عن اصل هذا الاسم اموراً غريبة منها ان كلباً هائلاً كالغول كان يحرس هذا الممر الحرج فلا يدع احداً يجتاز ما لم يحل له لغزاً يعرضه عليه . وهذه الرواية اشبه شيء بحكاية اليونان عن ابي الهول (Sphinx) الذي كان يفترس من لم يستطع الى فك احاجيه سبيلاً . ومنهم من زعم ان النهر دعي كلباً لان الوثنيين قديماً نصبوا هناك صنماً على هيئة كلب يعبدونه ويدعون انه اذا وافاهم العدو ينبح الكلب فيحذرهم من هجماته . ويقولون ان بعض الصخور المجاورة للنهر تمثل جسم هذا الصنم بيد ان رأسه قطع فالقي في البحر . ولا نظن ان في هذه الاحاديث شيئاً من الصحة . لان العلماء لم يقفوا بعد البحث على اثر للتمثال المذكور فضلاً عن ان الكتبة الاقدمين لم يذكروا شيئاً من امره . والرأي الصواب عندنا ان النهر يسمى ذئباً او كلباً لصخابة صوته عند انصبابه في البحر حيث تصطدم مياهه بالامواج المتلاطمة فيسمع له دوي عظيم . ويشبه هذه التسمية اسم الليطاني الذي دعاه القدماء نهر الاسد « Λέοντος ποταμός » فعرب بالليطاني وهو الذي يصب في البحر بين صور وصيدا ويسمى عند مصبه بنهر القاسمية » . وقد ذكر العلامة لامنس ص٩ في الحاشية ان ما زعمه عن لقب نهر الكلب اخيراً يطابق ما قاله الكاتب الالماني Ritter Erdkunde XVII.92 ويخيف ان لهذا المؤلف تفسيراً آخر لا حاجة الى ذكره هنا .

وان تعجب لامر فاعجب كيف ان علامة كلاب لامنس عاب عنه ان اسم ليكوس هو اسم اله كادموس ورد ذكره كثيراً في الاساطير والخرافات اليونانية والرومانية وهو شقيق ملك تيب Thèbes المدعو نكتيوس Nyctéus الوارد ذكرهما في الخرافات التيبية Légendes Thébaines ولا سيما في اسطورة انتيوب Antiope التي خدعها يوبيتر Jupiter[1] وبعض علماء الاساطير يرى في

(١ Mythologie grecque et romaine par P. Commelin. Editions Garnier Paris 1948. Domenico Bassi. Mitologia greca e romana Firenze 1917 — المؤلف الاول ص٣٤٨ والثاني ص٤١ — ٣٤٠ وكذلك ايضاً حضرة الاب العلامة ديه موتزد

هذه الخرافة رمزًا لليل وللنور ويشتق اسم ليكوس من اصل كلمة Lyk التي معناها النور (راجع المؤلف بابي المذكور في الحاشية ص ٢٤٢ — ٢٤١) فاذن يمكن تفسير كلمة ليكوس بغير كلمة ذئب وقد ورد ذكر هذه الخرافة عند هوميروس (Odyssée (XI 260 ولكن ما لنا وللاساطير وللخرافات فقد ورد ليكوس بانه اسم نهر على لسان الشعراء فقد قال فرجيل :

Ibat; et ingenti motu stupefactus aquarum
Omnia sub magna labentia flumina terra
Spectabat diversa locis, Phasimque Lycumque etc.
Georgica (IV 365-7)

اي ذهب مندهشاً من هدير الماء وكان يشاهد الانهر التي تسقط تحت الارض العظيمة في اماكن مختلفة الفازي وليكوس[1] وقال اوفيد في كتابه عن تغيرات الطبيعة

Ovides. Les Métamorphoses XV 270

وكأني به يصف نهر الكلب الذي نحن بصدده حيث قال :

Hic fontes natura novos emisit, at illic
Clausit; et antiquis tam multa tremoribus orbis
Flumina prosiliunt, aut exsiccata residunt.
Sic ubi terreno Lycus est epotus hiatu,
Existit procul hinc alioque renascitur ore.

نرى من الهزات الارضية العميقة بعض الانهر تنفجر من الارض وبعضها

R. Mouterde اليسوعي في كتابه النبع عن نهر الكلب المطبوع في بيروت سنة ١٩٣٢ Le Nahr El-Kelb (Fleuve du chien) Guide Archéologique فانه بحث مدقق في تاريخ الصور والكتابات المنقوشة قرب مصب النهر في البحر وجل ما ذكره عن اسم نهر الكلب ان اليونان والرومان كانوا يسمونه ليكوس اي الذئب ثم اطلق عليه العرب اسم الكلب . صفحة ٤

وقد اتى على ذكر نهر الكلب واسمه القديم ليكوس حضرة الاب اليسوعي العلامة زومرفن في كتابه عن ارض لبنان المطبوع في بيروت سنة ١٩٢٦ صفحة ٧

G. Zummoffen S. J. Géologie du Liban

١) قال شراح فرجيل في اللاتيني ان نهري الفاز وليكوس هما في مدينة قلشيد في ارمينيا Colchide .

يغور وينشق وهكذا (نهر) ليكوس بعد ان يكون ابتلع ضمن شق الارض في موضع يخرج بعيداً من شق آخر على سطح الارض .

وهذا الامر نفسه يحدث قرب مغارة جميتا وقد شاهدته بعيني في زمان حداثتي حيث نرى قسماً كبيراً من النهر يغور ثم يخرج من تحت صخر هناك. وقال شراح اوفيد انه يوجد عدة انهر باسم ليكوس والشاعر يعني نهراً في مقاطعة فريجيا في اواسط اسيا الصغرى Phrygie .

وقد ورد ذكر ليكوس في هيرودوتوس (Hérodote VII 10) وعند بلينوس (Pline N. H. II 225) وعند سينيكا (Sénèque Nat. Quaest. III 26) وعند كل هؤلاء المؤلفين يقصد به اسم نهر .

وفي هذا القدر كفاية لتأكيد ما اشرنا اليه عن اسم نهر الكلب[1] اما لماذا اطلق على هذا النهر اسم الاله ليكوس فلعلّ المقصود به منبعه من الشرق او لانه ينضم الى نبع مغارة جميتا لان الخرافة تقول انه لما جرح جرحاً مميتاً نكتيوس عهد الى شقيقه ليكوس لينتقم له وينقاص ابنته انتيوب Antiope او لعل المقصود به حادثة اخرى من حوادث الاسطورة المذكورة فالله اعلم .

١) في العدد القادم تبين اصل كروان وحدثيت وبعض اسماء غيرهما .